Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يرام. كما تشعر، الطفلة مثلاً، التي تعتقد أنّ الماء الذي قد صبّ في كأس قصير وعريض سيصل إلى المستوى نفسه إذا ما أُعيد صبُّه في كأس أخرى طويلة وضيِّقة. فالاضطراب هو بالتالي، الصراع بين ما يتوقّعه الإنسان وبين ما يشاهده أمام ناظريه. فيطلق الإنسان بعض «التطبيعات» (Regulations) بهدف تخفيف حدّة الاضطرابات. وتنتهي الموازنة بعملية التكيّف الذي يقوم على التفاعل بين عمليتين فرعيتين: الأولى هي عملية «التمثّل» (Assimilation) وهي تعمل على تغيير الخبرات الجديدة إلى خبرات مألوفة. والثانية هي عملية «الملاءمة» (Accomodation) وهي تعمل على التنبّه على التجربة الجديدة بصورة مستقلّة عن الخبرات السابقة.

تجدر الإشارة، هنا، إلى أنّ التمثُّل من دون الملاءمة من شأنه أن يشوّه الخبرة الجديدة. فالطفلة التي تلاحظ تغيّر مستوى الماء الذي أُعيد صبّه في كأس قصيرة وعريضة تقول إنّ بعض الماء قد تسرّب عند إعادة صبّه. كما أنّ الملاءمة من دون التمثّل قد تؤدّي إلى نتائج خاطئة، كأن تقول هذه الطفلة مثلاً، إنّ الماء يكون أحياناً على مستوى منخفض وأحياناً أخرى يكون على مستوى مرتفع. من هنا، يشدّد «بياجيه» على أنّ التعادل بين التمثّل والملاءمة أمر ضروري، لكي يتمكّن الطفل من أن يفسر بدقة الأحداث التي يختبرها ويتكيّف معها بدقة.

من هنا نرى أن «بياجيه» يميّز بين نوعين من المعرفة هما:

أ ـ «المعرفة الصورية» (Figurative) التي تنطوي على معرفة المثيرات بصورتها العامة ولا تنبع من التحليل العقلي. فالطفل الرضيع يميّز زجاجة الرضاع فيمصّها، والولد يتعرّف على سيّارة أبيه، فحين يشاهدها قادمة يفتح باب المنزل.

ب ـ «المعرفة الإجرائية» (Operative) التي تحصل من الاستدلال في مختلف المستويات. فالطفل، على سبيل المثال، بمقدوره أن يعي أن الكرة لا يتغيّر حجمها حين تُوضع مع كرات أكبر، عما هي عليه، حين تُوضع مع كرات أصغر.

يشير «بياجيه» إلى أنّ «المعرفة الصورية» تهتمّ بالأشياء في حالتها الساكنة في لحظة زمنية معيّنة، في حين أن «المعرفة الإجرائية» تهتمّ بالكيفية التي تتغيّر بها الأشياء من حالة سابقة إلى حالتها الحالية.

٢ ـ ٢ ـ النمو المعرفي

إنّ الطفل ينتقل بسرعة خلال نموه الطبيعي من المعرفة الصورية إلى المعرفة